نشرة شهرية تصدر عن شبيبة مار فرنسيس، زوق مكايل

ISSUE NUMBER :56 Oct-Nov 08

عُد إلى قلبكَ وطهِّرهُ

تجدِ المسيحَ يحدِّثك

القديس أغوسطينوس

١ كلمة العدد

٢ وحي الله لمريم

٣ التلاميذ الثلاثة

مريم في روحانيَّة القدِّيس فرنسيس

كان فرنسيس مغرمًا بالمسيح، ويدهش خصوصًا أمام تواضعه، في سرِّ التجسُّد، وحبِّه، في سرِّ الفداء. يريد أن يتشبَّهَ به كليًّا حتَّى يصبحَ يسوعُ حقًّا أساس حياته الروحيَّة.

محبَّته ليسوعَ حَملتْهُ إلى محبَّة مريم العذراء، أمِّ يسوع: «فقد حظِيَت أمُّ يسوعٍ بمحبَّة فائقة واحترام يفوقان الوصف، من قِبَل القدِّيس فرنسيس، وذلك لأنَّها جعلت من ربِّ السماء أخًا لَنا جميعًا. إكرامًا لَها، كان يرتِّلُ تسابيحَ خاصَّةً، ويرفعُ الصلوات، ويقدِّمُ عواطفَ حارَّةً يعجزُ اللسانُ البشريُّ عن وصفِها. ولعلَّ ما يَملأُ القلبَ فرَحًا أنَّه جعلَ منها مُحاميةً للرهبنة، فوضعَ تحت جناحها أبناءه حيث كان على وشكِ مُفارقتِهم، ليجدوا فيها الدفءَ والحمايةَ حتَّى النهاية».

مثالُ مريمَ العذراءِ لنا هو مثالُ الخدمة، لأنَّها قبلتْ كلامَ الله وإرادتَه ومشيئتَه، من خلالِ قبولِها بتجسُّدِ المسيح في بطنها، ومن خلال خدمتِها لأليصاباتَ نسيبتِها الطاعنةِ في السنِّ.

فيا مريمُ، أعطينا أن نجعلَ، مثلَك، من قلوبنا، مسكنًا لابنِ الله، في هذا الزمنِ الَّذي نستعدُّ فيه لمجيء المخلِّص المنتظَر.

سلامٌ لكِ يا مريمُ

وحي الله لمريم

منذ البشـــارة، ترى مريم في يســـوع موضوعَ إيْمانِها، ويستنيرُ هذا الإيمانُ ببـــلاغات تتأصَّلُ في نُبُوَّاتِ العهد القـــديم: «سيُدْعَى الصبيُّ يسوعَ، ويكونُ ابـــنَ العليّ، ابـــنَ داودَ، ملكَ إسرائيلَ، ابنَ الله ». وعند تقديمِه للربِّ في الهيكلِ، تســـمعُ مريمُ النبُوَّاتِ الخاصَّةَ بـــ « عبد الربّ »، منطبقةً على ابنها: «سيكونُ نورًا للأمم، وعلامةً للمخالفة».

وإلى هذه الكلماتِ الصريحـــــة، يجـــبُ أن يُضـــافَ مـــا لم يَرِدْ ذكرُه في مـــتنِ الكتـــاب، وهـــو أنَّ علـــى مـــريمَ أن تكتشفَ في حـــياة ابـــنِها الصامتة تَجَرُّدَ المسيح.

وعندما يتحـــدَّثُ يســـوعُ إلى أمِّه، يســـتعملُ اللهجةَ الخاصَّة بالأنبياء. فتكشفُ عندئذٍ مريمُ، خلالَ هذا الأســـلوبِ، استقلالَ ابنِها وسلطانَهُ، وتفَوُّقَ الإيمانِ على الأمومةِ البشريَّة.

ولا تقـــــــــومُ عظمةُ مريمَ، في نظر الإنجيليِّين، في اســـــتنارةٍ خارقـــــةٍ، بـــــل في إيمانِها، الَّذي لا يختلفُ في شـــــيءٍ عن إيمانِ المؤمنِ البســـــيط، مِمَّا فيه من غُمُوضٍ وتدرُّجٍ في السير.

الآب العليّ بشَّر من السماء
بكلمته هذا، الجزيلِ الكرامة،
والجزيلِ القداسة والتمجيد،
بواسطة ملاكه القدّيس جبرائيل
في أحشاء القدّيسة المجيدة العذراء
ومن أحشائها أخذ جسدَ إنسانيّتنا
وهشاشتنا
الحقيقيّ.

(القدّيس فرنسيس الأسّيزيّ)

التلاميذ الثلاثة

لا يعرفُ المتواضعُ التكدُّر
والغضب والاحتيال
بل يخدم الربّ
ببساطة وبراءة
وفي قداسة وسلام
وفرح روحيّ

(القديس أفرام السرياني)

بعد فترةٍ طويلة من الحياة المشتَرَكة والدراسةِ والتأمُّلِ، ترَكَ التلاميذُ الثلاثةُ معلِّمَهم ليبدأوا رسالتَهم في العالم.

وبعد عَشْرِ سنواتٍ عادَ التلاميذُ الثلاثةُ إلى معلِّمِهم ليُخبِروه عمَّا جرى معهم، فأجلَسَهم بِجانبه لأنَّه لم يكن يستطيع الوقوفَ بسببِ آلامٍ أصابتْهُ.

فقال الأوَّلُ بكبرياء: «لقد ألَّفْتُ كُتُبًا كثيرةً وبِعْتُ آلافَ النُّسَخ». فأجاب المُعلِّم: «لقد ملأتَ العالَمَ بالورَقِ».

وقال الثاني: «لقد وَعَظْتُ في أشهَرِ الكنائسِ».

فأجابه المعلِّمُ: «لقد ملأتَ العالَمَ كلامًا».

فقال الثالث: «أظنُّكَ مريضًا، فجلَبْتُ لكَ هذه الوسادةَ لتَضَعَ رِجْلَيْكَ علَيها فتستريحَ».

فقال له المعلِّمُ باسِمًا: «أمَّا أنتَ فقد وجَدْتَ اللهَ».

إنَّ اتِّحاد مريم العذراء، بأمانة، بالروح القـــدس، جعلَها أرضًا خصبةً تلدُ باستمرار، بفعل قوَّته، إخوةً للمسيح.

يقول القدِّيس أغوســـطينوس: «العذراء هي أمٌّ لأعضاءِ المسيح، لأنَّها ساهمت، بمحبَّتِها، في أن يولَدَ، في الكنيسة، المؤمنون الَّذين هم أعضاءُ ذلك الرأس». فالابنُ الَّذي ولَدَتْهُ مريم قـــد جعلَه الله «بكرًا لإخوةٍ كثيرين» (روم٨/٢٩)، أي المؤمنين الَّذين تُسهِمُ مريمُ في ولادتِهم وتربيتِهم.

ومن جهةٍ أخرى، يرى فرنسيس في مريم مثالاً للكنيسة، في بتوليَّتِها وأمومتِها. ويرى فيها أيقونةً لِما يريد اللهُ أن يُحقِّقَه في شخصِ كلِّ مؤمنٍ. فالكنيسةُ، في مفهوم فرنســـيس، باتِّحادِها بالروح القدس، هي:

- ذلك الحشا البتوليّ الَّذي يحبل ويلد إخوةً للمسيح، في جرن المعموديَّة.
- الأمُّ الَّتي تحفظ كلمة الله حفظًا أمينًا وتضعُ بواسطةِ الكرازة والعماد أبناءً مولودين من الله.
- البتول الَّتي تحافظ على كمال الإيمان وتوطيد الرجاء وملءِ المحبَّة.

أمُّ يسوع، في تَمجيدها في السماء بِجسدِها وروحها، هي صورة وبدءُ الكنيسة الَّتي ستبلغ كمالَها في الدهر الآتي. تَجعلُ البتوليَّةُ والأمومةُ مريمَ والكنيسة شخصًا واحدًا: «... العذراءُ صارت كنيسةً...».

ما رأيك؟

إذا تعوَّدتَ على الاتكاليَّة في اتِّخاذ القرار، يصعب عليك أن تتخلَّص منها فتشعرُ بأنَّ فيك حاجةً دائمًا إلى الآخر، لأنَّه يخفِّف من عنائك.

ولكن سرعان ما تجد أنَّك تلعب باستمرار دور المحتاج إلى مُساعِد ويلعب الآخرون دور المُساعِد. وهكذا، يشجّعونك على الاتكاليَّة ويحولون دون بلوغك النضج الَّذي أنت قادر على تحقيقه.